الدرس الثامن

عبودية مصر

خروج 1–11

1. تعريف بسفر الخروج

سفر الخروج أكثر من رد فعل لإله عادل على اضطهاد مجتمع لآخر أو شريحة اجتماعية لأخرى. وهو أكثر من مجرّد قصة شفقة الله على محنة شعب وضيقهم. ولسوء الحظ فإن كثيراً من اللاهوتيين المتحررين يتناولون السفر بمثل هذه الطريقة. غير أن سفر الخروج لا يتناول أي "مجتمع مضطهَد". فنحن نتحدث عن أمة إسرائيل، أمّة الله الفريدة المختارة من بين الشعوب من أجل تنفيذ برنامج الله (تكوين 12). يقول ميريل:

> إن الخروج أهم حدث تاريخي ولاهوتي في العهد القديم، لأنه يشكل أقوى أعمال الله التي قام بها لأجل شعبه. وهو عمل نقلهم من العبودية إلى الحرية، ومن التشرذُم إلى التضامن، ومن شعب الوعد –العبرانيين– إلى أمة تحقيق الوعد –إسرائيل.[1]

لا يمكن للمرء أن يفهم الخروج دون أن يفهم سفر التكوين. فالخروج خطوة إلى الأمام في تنفيذ الوعود الإلهية لإبراهيم. وخطة الله هي أن يجلب البركة إلى العالم من خلال ذرية إبراهيم، ويتضمن هذا تشكيل أمة ترتبط بيهوه بشكل فريد. ويتضمن برنامج بناء الأمة ما يلي: (1) شعباً و(2) دستوراً و(3) أرضاً. وقد وصل سفر التكوين ذروته بإحضار عائلة يعقوب (وريث البركة الإبراهيمية) إلى مصر لكي تُحفظ وتتطور. وقبل موت يوسف في مصر عبّر عن توقُّعه أن يحقق الله وعوده لإبراهيم. ونتيجة لذلك يتناول سفر الخروج موضوع العهد الإبراهيمي هذا وتطوّر القصة المثيرة بتفصيلِ علاقة العهد القومي القائم بين يهوه وإسرائيل. وباختصار، يركّز سفر الخروج على تشكيل إسرائيل كأمة تحت حكم يهوه.

يتألف سفر الخروج من أربعة تقسيمات رئيسية (انظر *الملحق 8–1*):

[1] Merrill, Kingdom of Priests, 57

سفر الخروج

العبودية	الفداء	العهد	خيمة الإجتماع
أصحاحات 1– 11	أصحاحات 12 – 18	أصحاحات 19 – 24	أصحاحات 25 – 40

لتشكيل أمّة من إسرائيل، يجب أن يحرَّروا أولاً من عبودية مصر وسيادتها. ومن هنا يعلن يهوه نفسه من خلال عرض أعمال قوة ودينونة لقوى الشر (مثلاً، 9: 16). وبتحرير يهوه لشعبه من الظلم الشرير، فإنه يعلن نفسه كإله الخلاص – الإنقاذ. وعندما فداهم يهوه، أتى بهم إلى سيناء لكي يدخلوا في دستور مع يهوه، (يأخذ هذا الدستور شكل معاهدات الشرق الأدنى المألوفة بين دولة متسلطة تفرض سلطانها في حقل الشؤون الخارجية على دولة تابعة، تاركة لها حرية التصرف في الشؤون الداخلية). وهنا صار الشعبُ أمّةً (دولةً) باتفاقية عهد بين الدولة التابعة، إسرائيل، وبين الدولة المتسلطة، يهوه (تأسيس حكم ثيوقراطي). ويختتم السفر ببناء خيمة الاجتماع (الإصحاح 25–40) لكي يسكن يهوه في وسطهم، أي لكي يتوّج ملكاً في وسط الأمة. وفي ما يلي *جملة تلخيصية* لسفر الخروج:

يقوم يهوه في أمانته للعهد الإبراهيمي بتحرير شعبه المختار من مصر لكي يجعل منهم شعباً عابداً تحت حكمه الملكي استعداداً لنوال أرض الموعد.

يتعلق القسم الرئيسي الأول (الأصحاحات 1–11) بالعبودية في مصر، موثّقاً ما حُرِّرت إسرائيل منه. ويركز الأصحاح الأول على حالة الظلم التي عاشتها إسرائيل، وتفصّل الأصحاحات 2–4 كيف يقيم الله موسى ليحرر العبرانيين. وتتحدث الأصحاحات 5–11 عن ترسيخ الله سيادته على مصر كتمهيد لتحرير إسرائيل.

2. اضطهاد العبرانيين (1: 1–22)

بعد ختام سفر التكوين بقي بنو إسرائيل في مصر مدة 400 سنة. وعلى الرغم من أنهم كانوا يلقون معاملة طيبة أثناء حياة يوسف، إلا أنهم استُعبدوا في نهاية الأمر. لكن حتى في ذلك الحين، كانت مقاصد الله تتحقق في أنهم كانوا يتكاثرون حتى أصبحوا شعباً كثير العدد. وهذا هو ما ينبّر عليه الأصحاح الأول في الآيات 7 و12 و20. يقول كاسوتو: "يعاد التوكيد على الفكرة الرئيسية في نهاية كل فقرة، وهي أنه رغم جهود كل أعداء إسرائيل، فإن البركة التي يمنحها لهم الله العلي تتحقق فيهم بشكل يؤكدها وتجعلهم ينمون بشكل متزايد عدداً وقوة."[2] وعلى الرغم من أنهم استعبدوا إلاّ أنهم ظلّوا متميزين وتكاثروا جداً. وصاروا الآن جاهزين لأن يشكّلوا أمّة!

[2]Umberto Cassuto, *A Commentary on the Book of Exodus*, trans. by Israel Abrahams (Jerusalem: Magness Press, 1967), 15

ينصب كل المشهد في الأصحاحات 1–11 على مسألة العهد الإبراهيمي (لاحظ على وجه الخصوص 2: 24–25). ويُعِد الأصحاح الأول المسرح الذي سيُكرم منه الله العهد الإبراهيمي (بالإضافة إلى تحقيق تكوين 15: 13–15).

ويجب أن نلحظ أيضاً التنبير في الفصل الأول على "العمل الشاق" الذي فُرض على بني إسرائيل و"الصرامة الشديدة" التي كانوا يُعامَلون بها (1: 13–14). وفكرة العبودية مهيمنة على هذا الجزء. وهذا أمر جدير بالملاحظة لأن سفر الخروج يصوغ عدّة أفكار كتابية رئيسية (خاصة العبودية للخطية، والفداء، والعهد).

3. إقامة الله لموسى المنقذ (2: 1–4: 31)

تتطلب المرحلة التالية في إخراج الشعب من العبودية إقامة منقذ، أي موسى [حوالي 1526–1406ق م].

أ. خلفية موسى (2: 1– 22)

تدرّب موسى 80 سنة وخدم مدة 40 (أعمال 7: 23؛ خروج 7: 7). وقد تضمن تدريبه قضاء 40 سنة في بلاط فرعون: *"فتهذب موسى بكل حكمة المصريين"* (أعمال 7: 22). وفي نهاية الأمر اضطر إلى مواجهة خيار هويته. نقرأ في 2: 10 أنه *"صار لها ابناً"*، أي أن ابنة فرعون كانت مستعدة أن تعطي موسى كل حقوق الميراث وامتيازاته. ولا بد أن تعيينه وريثاً عنى مسؤوليات معينة في البلاط الملكي، التي كان يمكن بدورها أن تجرّه إلى ممارسات دنيوية ودينية كثيرة آثمة. كان أمام موسى الخيار بين أن يكون إدارياً دنيوياً وبين أن يكون إدارياً ثيوقراطياً. فرفض موسى الخيار الأول كما توضح عبرانيين 11: 24–25: *"بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية."*

توجد بعض التشابهات المثيرة للاهتمام بين المخلّص موسى وبين "موسى الجديد." فالله في سيادته يحفظ كليهما من ملك شرير يحاول أن يقتلهما (وبنفس الأسلوب في محاولة قتل كل الذكور الرُضع). ومن نسب عادي متواضع، يقيم الله فادياً مخلِّصاً! وكان لا بد أن يُخفى كلاهما؛ إذ قامت أم موسى بإخفائه في مصر، وقام أبوا يسوع الأرضيان بإخفائه في مصر.

وحين رُزِق موسى بابن من صفّورة أسماه جرشوم (وهو يعني "غريب هناك"، *قائلاً "كنت نزيلاً في أرض غريبة."* يدرك موسى حقّه في الأرض التي وُعِد بها إبراهيم وأن هناك ضرورة لتحقيق العهد. ومع تسمية ابنه، صار مستعداً لدعوة الله له.

ب. دعوة موسى (2: 32–4: 17)

لا توجد علاقة كبيرة بين ذكر موت الملك في 2: 23 وبين العبودية وصراخ بني إسرائيل، لكن هذه الآية توضح أنه بموت الملك الذي كان يسعى إلى قتل موسى، لم يعد هناك ما يمنع موسى من العودة إلى مصر.

مع إدراك موسى أن المكان الصحيح لبني إسرائيل هو أرض الموعد، كان الله مستعداً أن يحقق وعد العهد (2: 23–25). فالله لم ينس بني إسرائيل في مصر! فهم الشعب الذي ينوي أن ينفّذ من خلالهم برنامجه الإلهي. وعلى الرغم من مرور مئات السنوات على هذا الشعب في أرض مصر، إلاّ أن هذا لم يبطل العهد. لكن هذه الفترة المتوسطة قدّمت إسهاماً في البرنامج الإلهي.

لا شك أن الكلمات الافتتاحية للأصحاح الثالث ذات معنى: "وأمّا موسى فكان يرعى الغنم..." ربما لم يدرك مدى أهمية هذه المهمة العادية لدوره مستقبلاً كراعٍ لشعب الله.

عندما يظهر الله لموسى في العلّيقة المشتعلة، فإنه يعرّف نفسه على أساس الوعد الإبراهيمي معبّراً عن رغبته في إعطاء الأرض لشعبه. وبظهور العلّيقة المشتعلة، كان الله يقدّم إعلاناً عن *الشكينة* (وهي كلمة تصف الحضور الإلهي في العالم). كان قصد هذا هو أن يشير إلى أي إله هو (3: 5–*لا تقترب إلى ههنا*.) ... إنه إله مجد. كانت العلّيقة مجرّد مسكن مؤقت كما ستكون خيمة الاجتماع فيما بعد، لكن لم يستطع موسى أن يقترب لأن الله لم يكن قد قدّم بعد طريقة الوصول إليه. وتشكل بقية سفر الخروج والعدد ويشوع تطبيق ما وعد به الله في 3: 8.

ويتضح من الآية السادسة الغرض من الإعلان عن طريق العلّيقة المشتعلة، إذ نرى أن هذه هي طريقة الله في أن يُفهم شعبه أنه يعلم أحوالهم ويهتم بهم، وأنه مستمرٌ في تذكُّر العهد (2: 24–25).

الاسم الإلهي: يهوه

لابدّ أن فكرة تحرير بني إسرائيل كانت أخباراً رائعة لموسى، لكنه تلقى على مضض فكرة أن يكون هو المحرّض على التحرير. وهكذا يعد الله بأن يكون معه، ويعلن له نفسه بصفته "أنا من أنا" أو "أكون من أكون"، وهو أساس اسم يهوه (وكلا التعبيرين مصاغ من الفعل הָיָה [*hāyāh*] (هاياه)، الذي يعني "يكون").[3] ويؤكد هذا الاسم على استقلاله السيادي وعلاقته العهدية. والاسم كشفٌ لطبيعته الأخلاقية. وبهذه الطبيعة الأخلاقية، سيقوم بالسيطرة على التاريخ بشكل فاعل في انسجام مع عهده مع إبراهيم.

[3] تقول المشنا اليهودية إنه لن تكون هناك قيامة لمن "يلفظ اسم الله حسب حروفه" (Sanhedrin 9: 10).

وهكذا فإن هذا الاسم يرتبط بوعود الله وأمانته. يقول كاسوتو: "وتوجد أيضاً فكرة متضمنة حول تنفيذ الوعود في هذا التفسير: أنا من أنا على الدوام، باقٍ أبداً على نفس الطبيعة؛ ولهذا فإني مخلص لكلمتي وأحققها . . . ."[4] وهكذا يذكرنا اسم الله بأمانته والتزامه غير المتزعزع بوعوده وشعبه وعهوده! هذا هو كل ما سيقوله لشعبه عن نفسه: "أنا كائن" (أنا أكون). لكن حين يجرؤون على العمل استجابة لأوامره وتعليماته، فإنهم سيجدون فعلاً أنه المعين الوفي الأمين أبداً لكلمته . . . الذي يمكن الاعتماد عليه! وإذا كان هنالك قدر من عدم المحدودية في هذا الاسم، فإنه يهدف إلى أن يستحضر في أذهانهم فكرة أنه تماماً كما أعلن عن نفسه في الماضي، خاصةً للآباء. وهو لا يقول إنه لا يريد أن يُعرف بشكل أكثر حميمية؛ لكنه كشف كل ما أراد أن يكشفه عن نفسه في هذه المرحلة. ويتفق هذا مع الإعلان التدرّجي. . . حيث سيُكشف المزيد في الوقت المناسب. [انظر التعليقات على 6: 3]

مع مفاتحة موسى للعبرانيين بخطة الله المعلنة له، عليه أن يذكّرهم بأن يهوه يتصرف وفق العهد الإبراهيمي (انظر 3: 16). عليه أن يطلعهم أولاً على واقعة الظهور الإلهي له، ثم على الأخبار السارة: *"إني قد افتقدتكم."* "تهدف طريقة صياغة هذه الفقرة إلى أن توقظ في قلوب الشعب المستعبد في مصر حقيقة أن وقت الفداء قد حان."[5] في 4: 1–17 يقاوم موسى دعوة الله مقدماً ثلاثة اعتراضات:

1. عدم ثقته من قبول الشعب له (4: 1–9)

كان الجيل الأقدم منه يربطه ببلاط فرعون، أمّا جيل الشباب الذين لم يعرفوه فلن يرضوا بأن يتبعوا راعياً من الصحراء. وردّاً على ذلك أعطاه الله "آيات إعجازية" (وهذا هو أول عرض للمعجزات في الكتاب المقدس) لكي يصادق على الرسول ورسالته (لاحظ في 4: 29–31 كيف أن الآية أو المعجزة ثانوية بالنسبة للكلمة التي أراده الله أن يوصلها). عندما تعطى آيات (علامات) في الكتاب المقدس، فإنها تدل عادة على بدء برنامج جديد. والعصا هنا ذات دلالة لأنها تبين "أن موسى ليس أقل من السحرة المصريين الذين يعرفون كيف يرقون الأفاعي ويجعلونها بلا حراك كالعصا، ثم يأمرونها فيما بعد أن تعود إلى حيويتها العادية فحسب، لكنها تبين أيضاً أنه قادر على فعل العمليات العكسية أيضاً، والتي هي أكثر إدهاشاً."[6] وكانت اليد البرصاء ذات دلالة أيضاً:

> تنسجم هذه المعجزة أيضاً مع البيئة المصرية، إذ كان البرص منتشراً في مصر. وبما أن البرص كان يعتبر مرضاً لا شفاء منه، فإن إزالته عن يد موسى عمل إعجازي تهدف إلى ترك انطباع عميق في نفوس كل الذين شهدوه.[7]

أمّا في ما يتعلق بمعجزة ماء النيل الذي تحوّل إلى دم، فيقول كاسوتو:

---

[4] Cassuto, 38

[5] المرجع السابق، 41.

[6] المرجع السابق، 46.

[7] المرجع السابق، 47.

اعتبر المصريون نهر النيل، وهو مصدر الحياة والخصب في أرض مصر، إلهاً. فكأن الله يقول لموسى: إذا أريت اخوتك أن الذي أرسلك يسود حتى على النيل، فسيرون في ذلك برهاناً واضحاً على أنه قادر على التغلب على كل القوات التي تقف إلى جانب مصر، بمن في ذلك أولئك الذين يُعتَبرون آلهة، ولن يعودوا يشكّون في مهمّتك.[8]

2. إدّعاء موسى بأنه غير قادر على الكلام والتواصل (4: 10–12)

لنلاحظ أن الوعد في الآية 12 هو *رسالة*، مشيراً بذلك إلى أن المشكلة ليست مشكلة نُطق، لكنها مشكلة غياب الرسالة.

3. عدم الرغبة أو الاستعداد (4: 13–17)

الاعتراض الثالث هو أكثرها خطورة: فهو لا يرغب حقاً في الذهاب. وقد أثار هذا غضب الله. ونتيجة لذلك عيّن هارون مساعداً له (وهو قرار سيندم عليه موسى فيما بعد). وقد حدد الله دوري موسى وهارون "وأنت تكون له إلهاً (كإله)" (الآية 16)، لتحديد قناة الرسالة الإلهية (الله ← موسى ←هارون).

ج. العودة إلى مصر (4: 18–31)

أوشك الرب أن يقتل موسى وهو في طريقه إلى مصر. وقد غضب الله من موسى بسبب مسألة ختّان ابنه، ويبدو أن موسى كان يتّبع رغبات زوجته بدلاً من أمر الرب في هذا الأمر (انظر تكوين 17: 14). كانت هذه مسؤولية موسى، وعدم القيام بختن ابنه كان علامة على عدم الأمانة نحو العهد وعدم الإيمان به. والفكرة هنا هي أنه كانت لموسى التزامات تجاه العهد، ولم يكن حتى موسى معفياً منها!

4. سيادة يهوه على مصر (5: 1–11: 10)

هذه الأصحاحات دروس في اللاهوت عن الله. وهي تشرح من هو الله ولماذا يجب أن يخضع فرعون له. يبدأ فرعون بطرح سؤال "من هو الرب؟" فأعلمه موسى معنى اسم الله، أي طبيعته الأخلاقية (7: 5، 17؛ 8: 22؛ 10: 2؛ 14: 4، 18؛ 16: 12؛ 29: 46؛ 31: 13).

أ. خطة الله لإعلان نفسه كيهوه (5: 1–7: 7)

[8] المرجع السابق، 48.

يبدأ هذا القسم بمواجهة أولية بين موسى وفرعون تُسهم في زيادة الصعوبات والمشقات على العبرانيين، مما أثار استياء العبرانيين. ويوضح لنا النص أن فرعون لا يعرف اسم يهوه، فهو لا يعرف إلا تعبير "إله العبرانيين". لم يعرف من هو هذا الإله الذي يطالبه بإطلاق العبرانيين." وفي غطرسته وجهله يسمّي *الكلام الذي تكلم به الرب* كلام الكذب,[9] (5: 9).

يقدّم استياء اخوته العبرانيين المسحوقين خلفية ودلالة للإعلان الوشيك. "فقد خاب أمل موسى أيضاً، وعبّر عن لومه (للرب)، لا لأن فرعون رفض أن ينصاع لطلبه، فقد كان مستعداً لهذا الأمر منذ البداية، بل لأنه علم أن تصرّفه الأولي جلب مصيبة جديدة على رؤوس إخوته المضطهدين."[10]

تحيّر موسى وذهب إلى الرب ساعياً إلى جواب. وتتركز مشورة الله لموسى (5: 22–6: 13) على العهد الإبراهيمي! فبعيداً عن العهد الإبراهيمي لا يوجد أي سبب يجعل الله يتحرك لتحرير العبرانيين.

وبصفته إيل شاداي (الله القدير)، فإن لديه القدرة على تحريرهم. وبصفته يهوه، فقد كان وفياً وملتزماً أخلاقياً بإنقاذهم. والفكرة من قوله في 6: 3: "*وأمّا باسم يهوه فلم أُعرف عندهم*"، هو أن الدلالة الخاصة لاسم يهوه لم تُظهر لهم بالطريقة التي سيوشك على إظهارها (لا أنه لم يُعترف به من قبل). [انظر الملاحظات على 3: 13 فصاعداً]. لقد سبق أن أظهر نفسه في الطبيعة الأخلاقية بصفته إيل شاداي، لكن ليس في طبيعته الأخلاقية كيهوه (انظر الآيتين 3 و7)، خاصة في مجال القوة الفادية.

إن أحد الأعمدة الأساسية "للفرضية الوثائقية" (انظر الملاحظات حول تحليل المصادر – الدرس 12) مأخوذ من خروج 6 بسبب علاقته المفترضة بما يسمى "المصادر" المحدَّدة بالاستعمالات المختلفة لأسماء الله. وليست الفكرة هنا أن اسم يهوه لم يكن معروفاً لبني إسرائيل القدماء، لكن إظهار طبيعته التي يعكسها اسم يهوه لم يكن واضحاً بعد.[11]

[9] Cassuto, 68

[10] المرجع السابق، 73.

[11] لا يرتبط اسم إيل شاداي بفكرة "القوة" فقط، بل بفكرة "الخصب" أيضاً. يقول كاسوتو حول اسم إيل شاداي: "كان بنو إسرائيل ميّالين إلى ربط فكرة الإله الذي يحكم الطبيعة ويمنح البشر الخصب، كما نرى في كل آية من الأسفار الخمسة، باسم إيل شاداي حيثما ورد" (78). انظر تكوين 17: 1–2 و28: 3 و35: 11. ويقول:

"يمكّننا هذا من فهم النص الموجود أمامنا بوضوح. فالله يصرّح بما مفاده: لقد أعلنت نفسي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب في جانب يجد تعبيره في اسم شاداي، وقد جعلتهم يثمرون ويتكاثرون وأعطيتهم أبناء وأبناء أبناء. أمّا باسمي يهوه، بشخصيتي الأخلاقية التي يعبّر عنها هذا اللقب، فلم أكن معروفاً لهم. فلم أتح لهم المجال لكي يعرفوني بصفتي ذاك الذي يحقق وعوده، لأني لم أحقق بعد التوكيد الذي أعطيتهم إياه في ما يتعلق بامتلاك الأرض" (79).

يجب أن نحرص على ملاحظة كلمة "أنقذ" (أفدي) في الآية السادسة. إذ سيخرجهم الله من تحت العبودية، وسيحرّرهم، وسيفديهم. هذه هي أول إشارة في الكتابة المقدس إلى افتداء الله لشعبه. يشكّل عمل الفداء في الخروج خلفية فكرتنا عن الفداء في العهد الجديد.

وإن الأمر مذهل بعد هذه المواجهة الجديدة الرائعة مع يهوه وتصاعد الوعود العظيمة، أن نقرأ في 6: 9 أن بني إسرائيل رفضوا الاستماع إلى موسى. يقول كاسوتو:

> مرة أخرى يُسَد طريق موسى. وهذا هو قدَر كل من ينشغل بمشروع فائق الأهمية ومحفوف بالمخاطر في نفس الوقت. إنه يمر بلحظات انتصار ويمر أيضاً بنقيضها، لكن عظمته الحقيقية تظهر عندما لا يسمح لساعة الهزيمة أن تحوّله عن طريقه أو قضيته إلى اليأس من النجاح في نهاية الأمر.[12]

يتطلع إيراد سلسلة النسب في 6: 14–27 إلى اللاهوت اللاوي الآتي ويؤكد على إدخال موسى وهارون في هذا النسل الهام. فدورهما في إعلان يهوه لنفسه وطبيعته الفدائية من خلال تقسيه فرعون كان عملاً كهنوتياً.

يكشف لنا القسم 6: 28–7: 7 الخطة الإلهية لتقسية قلب فرعون بغرض الإكثار من آيات يهوه الإعجازية وعجائبه في مصر، مضخماً بهذا من عظمة عمله الفدائي.

قبل الظهور السابق لموسى أمام فرعون، أخبر الله موسى أن فرعون لن يوافق على طلبه. وهنا يقدم الله تحذيراً مسبقاً ثانياً. ويعكس التوكيد على طاعتهما في 7: 6 إدراكهما لـ 7: 3 . إن من شأن عدم تردُّد فرعون أن يؤول إلى تقدّم مقاصد الله (قارن 6: 12، 13 بـ 7: 6). لقد أخذا على ما يبدو يستوعبان خطة يهوه وضرورة رفض فرعون طلبهما كجزء من هذه الخطة.

ب. سكب الكوارث العشر (7: 8–11: 10)

إن تقسية قلب الفرعون أمر ضروري لإعلان يهوه عن نفسه لكل من مصر وإسرائيل. وسيظهر الله تفوقه بإرساله الكوارث العشر. وليست هذه الكوارث لمجرد التسبب بإزعاج المصريين. بل أكثر من ذلك، تشكّل هذه الكوارث دينونة للعبادة المتعددة الآلهة وانغماس المصريين في الأمور الخارقة الشريرة (كأنواع السحر المختلفة). لهذا يجب أن نقضي وقتاً كافياً في فهم هذه الكوارث في ضوء العبادة الدينية المصرية.

[12] Cassuto, 82.

إن المواجهة الأولية مع الأفعى– العصا إشارة يُفهم منها أن الكوارث ليست مجرّد عرض لألعاب نارية خارقة، إذ يقدر حتى سحرة المصريين أن يقوموا بما هو خارق. ففي وسط مجتمع منشغل بالخوارق، كيف يستطيع الفرعون أن يميز يد الله؟ هذه هي المسألة كما يوضح بريفارد تشايلدز:

كيف يمكن لله أن يجعل فرعون يميز أن يده هي التي تعمل؟ لم يكن العنصر "الخارق" في حد ذاته كافياً. إذ تبدو الآية الإلهية كحيلة بهلوانية رخيصة يمكن لمجموعة كبيرة من السحرة المصريين أن يقلّدوها ببساطة ظاهرة.[13]

إن ما نجده هنا صراع قوة حقيقي، ويجب أن يظهر الله لا ما هو خارق فحسب، لكن سيادته على العالم فوق الطبيعي أيضاً. لن يكتفي يهوه بالقيام بما هو خارق وغير طبيعي، بل سيفعل ما لا يقدرون أن يفعلوه، وسيوجه ضربة ساحقة للآلهة التي يعبدونها. يتألّف عالم الديانة المصرية من عدد لا يُحصى من الآلهة، إذ كان هنالك ما لا يقل عن 80 إلهاً رئيسياً. فكان نهر النيل والشمس من بين الآلهة الأكثر شهرة. وكان "رع" هو إله الشمس. وأثناء فترة المملكة الجديدة في مصر صار "رع" يسيطر على الديانة الوطنية بصفته إله الدولة، آمون–رع.[14] لكن النيل كان هاماً أيضاً:

أُدمجت الآلهة التي تشكّل تشخيصاً لقوى الطبيعة النباتية في إله يدعى أوزيريس، الذي كان إله النيل أيضاً. وعلى مدى التاريخ المصري، تنافست هاتان القوتان اللتان حكمتا الكون، "رع" و "أوزيريس"، أحدهما مع الآخر على مركز السيادة.[15]

لم يكن تحويل النيل إلى دم وإعتام السماء مجرد نصر ليهوه، لكنه كان إهانة ما بعدها إهانة لهذا المجتمع الوثني.

لقد حققت الكوارث التي نزلت على مصر أكثر من موافقة فرعون على إخلاء سبيل العبرانيين. فقد نزعت أيضاً المصداقية عن آلهة مصر وجعلت الفرعون يدرك أن يهوه متسيد. وكانت هذه دروساً لإسرائيل أيضاً، خاصة في ما يخص أشكال عبادة الأوثان الباطلة. يقول جون ديفيس: "استخدم الله هذه الكوارث لكي يبين قوّته الهائلة المهوبة لا في افتداء شعبه من أرض مصر فحسب، بل أيضاً في قدرته على الاهتمام بهم ورعايتهم وسد حاجاتهم."[16]

ج. ملاحظات أخرى حول الكوارث

[13] Brevard Childs, "*The Book of Exodus*", (Philadelphia: The Westminster Press, 1974), 152

[14] Cambridge Ancient History, Vol. II. Part 1,323

[15] Edward M. Burns, *Western Civilizations*, 8th ed. (New York: W.W. Norton & Co., Inc., 1973), 133

[16] John Davis, *Moses and the Gods of Egypt; Studies in the Book of Exodus* (Grand Rapids, MI: Barker Book House, 1971), 90

مقدّمة: تعكس الفقرات التي تتحدث عن الكوارث التي أنزلها الله بمصر بنية منسجمة. ويمكن تقسيم الكوارث التسع الأولى إلى ثلاث دورات تتألف كل واحدة منها من ثلاث وحدات. "تحدث الكارثتان الأولى والثانية من كل دورة بعد أن يكون موسى قد حذّر فرعون؛ أمّا الثالثة فتأتي دون تحذير. . . وقبل كل كارثة من كل دورة يأمر موسى بأن يقف في الصباح أمام فرعون في العراء، أمّا قبل الكارثة الثانية فيؤمر أن يمثل أمام فرعون في قصره." (Cassuto 92-3). ويقول كاسوتو: ". . . من الواضح أننا أمام نص كتب أصلاً بتركيب متجانس، ولم يكن نتيجة صدفة تضمنت وضع أجزاء متنوعة من مصادر مختلفة جنباً إلى جنب." (93).

تمهيد (7: 8–13) تعارض التوراة كل أشكال السحر، لأنه يسعى إلى إجبار قوى الطبيعة والأرواح الشريرة وحتى الآلهة على تنفيذ إرادة الإنسان بعيداً عن الله. وعلى الرغم من قدرة السحرة على القيام بالسحر، فإن إله إسرائيل متفوق عليها ! وسيكون هذا درساً هاماً لمستقبل إسرائيل في كنعان.

1. *الكارثة الأولى* (7: 14–25)

تركز الكارثة الأولى على النيل، العامل الأكثر أهمية في رفاه مصر. وحتى اليوم يسكن ما يزيد على 90% من سكان مصر ضمن مناطق قريبة جداً من نهر النيل، فالنيل هو شريان الحياة في مصر !

يعتبر المصريون نهر النيل الذي يعطي أرض مصر خصبها إلهاً. وكأن موسى يقول لفرعون: لكنك سترى يا فرعون أنني، بأمر إلهي الذي يهيمن على كل الأشياء، سأضرب هذا المخلوق "الإلهي،" أي نهر النيل. وبعد هذه الضربة ستتحلل طبيعته، ولن تعود مياهه مصدر بركة لمصر كالمعتاد (كاسوتو، 97).

2. الكارثة الثانية (8: 1–15)

كان استخدام الضفادع أمراً ذا دلالة في الحضارة المصرية. يقول كاسوتو (101):

نسب المصريون إلى الضفادع التي كانت تعج بها المياه بأعداد لا حصر لها قوة إلهية، واعتبروها رمزاً للخصب. وكان يُعتقد أن إلهة من مجموعة الآلهة المصرية واسمها هِكِت، زوجة الإله خنوم، والتي تصوَّر على شكل امرأة لها رأس ضفدع، تنفخ نفَس الحياة في مناخير الأجساد، التي شكَّلها زوجها على دولاب الخزاف من تراب الأرض. . . . تهدف رواية التوراة إلى توصيل فكرة أن إله إسرائيل هو وحده الذي يحكم العالم، وهو وحده الذي يمنح مخلوقاته حسب إرادته القدرة على الخصب، وأن هذه الضفادع التي اعتبرها المصريون رمزاً للخصب يمكن أن تتحول، إذا شاء يهوه ذلك . . . . من رمز للبركة إلى رمز للآفة والتلف.

ستصبح فكرة "الخصب" هذه فكرة مهيمنة حال وجود إسرائيل في الأرض! وتتسم نتيجة الكارثة بالسخرية، عندما يدعو فرعون السحرة لاتخاذ إجراء ما. فهم قادرون على زيادة الكارثة، لكنهم عاجزون عن إنهائها؛ ولا شك أن هذا أغضب فرعون. هذه هي النقطة الهامّة: فالله الحقيقي وحده هو القادر على جلب الراحة المطلوبة . . ." *لكي تعرف أن ليس مثل الرب إلهنا* " (8: 10).

3. الكارثة الثالثة: البعوض (8: 16–19)

لا يوجد تحذير من الكارثة الثالثة أو أي مثول لموسى أمام الفرعون. وإنه لأمر ذو دلالة أن السحرة مستعدون للإقرار بهزيمتهم بقولهم لفرعون: "*هذا إصبع الله*" (8: 19). لكن لنلاحظ أنهم يقولون "الله" فقط، ولا يقولون "يهوه"؛ فهو اعتراف جزئي فقط.

4. الكارثة الرابعة: حشرات (8: 20–32)

إن إحدى السمات الملحوظة لهذه الكارثة هي التوكيد على التمييز بين شعب الرب والشعب المصري: "*أجعل فرقاً بين شعبي وشعبك*." ويتعظم يهوه من خلال هذا. ففي كل الأرض يتم كل شيء حسب إرادته، وشعبه مميز في نظره. لكن فرعون مازال غير قادر على استيعاب حق الرب في الحكم المطلق: فعلى الرغم من أنه بدأ يتنازل عن حقوق (كالسماح لهم بالذهاب ليقدّموا ذبائح)، فإنه يحاول أن يقيّد هذا العمل، كما لو أنه ما زال من بيده القرار!

5. الكارثة الخامسة: وبأ شديد لقتل المواشي (9: 1–7)

إنه لأمر مثير للاهتمام أن نلاحظ أن "يد الله" هي التي تتهددهم بالخطر، بينما لاحظ السحرة في ما مضى "إصبع الله" (8: 19). وفضلاً عن ذلك، يمتد التفريق بين الشعبين إلى مواشي إسرائيل، ولا يعطى الفرعون فرصة اختيار الوقت.

6. الكارثة السادسة: الدمامل (9: 8–12)

مرة أخرى لا يعطى تحذير من الكارثة الثالثة لهذه الدورة الثانية. ويتعرض السحرة المرافقون لفرعون لهجوم عنيف: لم يعجزوا عن إزالة المرض من أرض مصر فقط، لكنهم لم يستطيعوا أن يحموا أنفسهم منه أيضاً، نجد هنا تطوّراً تدرُّجياً: لقد انتقلوا من المشاركة الفاعلة إلى الصمت، وهم الآن غير قادرين حتى على الوقوف بصمت!

7. الكارثة السابعة: البَرَد (9: 13–35)

هذه هي بداية الدورة الثالثة، وهي أكثر قسوة وحسماً من سابقتيها. وهنا لا يمثل موسى أمام الفرعون ثانية فحسب، لكنه يجلب معه توبيخاً لاسعاً من الرب أيضاً. ويعلن يهوه عن نيّته في استخدام المسألة كلها لكي يعلّم الأرض كلّها درساً: لا يوجد إله آخر مثله؛ ولا يوجد من يملك قوّته؛ وسينادى باسمه في كل الأرض. ومن ناحية أخرى، يوبّخ الرب فرعون لأنه مستمر في تعظيم نفسه بعدم تواضعه أمام يهوه (9: 17). ومع هذا الوباء، يصل فرعون إلى نقطة الاعتراف (9: 27)، لكن هذا الاعتراف كان ناقصاً: "لكنه مازال متمسكاً بغطرسته ويرفض الاعتراف بخطاياه الأولى والكبيرة؛ ومن هنا فإنه يضيف: 'هذه المرة'، كما لو أنه لم تكن له أية خطية أخرى تؤرق ضميره إلاّ رفضه في هذه المرة" (كاسوتو، 120). وعلى الرغم من الخضوع الشكلي للفرعون، إلا أن موسى يتهمه قائلاً: *"أنا أعلم أنكم لم تخشوا بعد من الرب الإله"* (9: 30). "على الرغم من أنك تخشى من قسوة الكارثة، وتخشى أيضاً بشكل عام من القوة الإلهية، إلاّ أنك لم تميّز بعد ولم تخش بعد الرب الإله، الرب الذي ندعوه باسم يهوه" (كاسوتو، 121).

8. الكارثة الثامنة: الجراد (10: 1–20)

لا شك أن هذه الكارثة دمّرت مصر اقتصادياً، مما دعا حتى خدم الفرعون (الآية 7) إلى تبني نظرية تصالحية. لكن موافقته في الآية الثامنة سطحية، كما في المرة السابقة، ويشهد على ذلك سؤال عن تحديد هوية الذين سيذهبون. فكأنه يقول: "أرغب أن أعرف بالضبط من هم من بينكم الذين سيذهبون، فأنا لن أعطي إذناً بالخروج في هذه الرحلة إلاّ للذين أوافق عليهم" (كاسوتو، 125). لم يتعلم بعد أن يهوه يستحق خضوعاً كاملاً. . . وأن الفرعون هو لا شيء! وبعد الكارثة يصير اعترافه أكثر صدقاً: فهو يعترف بخطيته ضدّ يهوه، ولا يلجأ إلى فرض قيود كما فعل في السابق.

9. الكارثة التاسعة: الظلمة (10: 21–29)

تشكل هذه الكارثة اللقاء الأخير بين القائدين (الآيتان 28–29). ولأن هذه هي الكارثة الثالثة في هذه الدورة. فإنها تأتي دون سابق إنذار. قد تبدو هذه الكارثة من القراءة الأولى غير شديدة (وهي واقعة أكثر لفتاً للنظر لأنها الكارثة الثالثة للدورة الثالثة). غير أن هذا كان هجوماً قوياً ضد نظام العبادة المصرية البعيدة عن التقوى، إذ كانت الشمس في حضارتهم تُعبد فوق كل شيء وفوق كُل إله آخر. يقول كاسوتو: "ستُثبِت هذه الكارثة مدى عِظم قوة الرب ضد آلهة مصر؛ فعندما يشاء إله إسرائيل، فإن الشمس التي يعتبرها المصريون الإله الرئيسي ستختفي ولن تستطيع أن تسطع على عابديها" (129). فهذه الكارثة لا تسبب مجرد ألم، لكنها تنسف ديانتهم كلها!

10. الكارثة العاشرة: موت كل بكر (11: 1–8)

الكلام هنا استمرار للآية (10: 29)، فهو ينتهي بموسى وهو يغادر قصر فرعون في غضب شديد. فعلى الرغم من أن فرعون هدد موسى بالموت (10: 28)، إلا أن الأمر سيكون معكوساً: إذ سيصيب الموت المصريين، حتى بيت فرعون نفسه. لم تكن مغادرة موسى النهائية مغادرة شخص يُنفى، لكنها كانت مغادرة من يذهب بملء إرادته، مغادرة من لم يعد يرغب أن يقف في حضرة الفرعون!